

﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ۝ قُمْ فَأَنْذِرْ ۝ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ۝ وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ ۝ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ۝﴾

[المذثر: 1 - 7]

✽ مُنَاسَبَةُ الْآيَاتِ لِمَا قَبْلَهَا:

لَمَّا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ فِي حَالِ تَدَثُّرِهِ قَدْ لَزِمَ مَوْضِعًا وَاحِدًا، فَلَزِمَ مِنْ ذَلِكَ إِخْفَاءَ نَفْسِهِ الشَّرِيفَةِ؛ أَمَرَ ﷺ ﴿قُمْ فَأَنْذِرْ﴾؛ إِشَارَةً إِلَى أَنَّ مَا يُرَادُ بِهِ مِنْ كَوْنِهِ رَسُولًا عَامًّا مُقْتَضٍ لِلْاجْتِهَادِ وَتَشْمِيرِ الذَّلِيلِ (1).

وَلَمَّا كَانَ الْإِنْذَارُ يَتَضَمَّنُ مُوَاجَهَةَ النَّاسِ بِمَا يَكْرَهُونَ، وَذَلِكَ عَظِيمٌ عَلَى الْإِنْسَانِ؛ أَمَرَ ﷺ بِتَعْظِيمِ مَنْ أَرْسَلَهُ اللَّهُ ﷻ ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾؛ فَإِنَّهُ إِذَا عُظِّمَ حَقُّ تَعْظِيمِهِ صَغُرَ كُلُّ شَيْءٍ دُونَهُ، فَهَانَ عَلَيْهِ الدُّعَاءُ، وَكَانَ مُعِينًا لَهُ عَلَى الْقَبُولِ (2).

وَلَأَنَّ فِي تَنْزِيهِهِ الْعَبْدَ عَنِ الْأَدْنَسِ تَنْزِيهًا لِلْمَعْبُودِ بِحَقٍّ؛ فَقَدْ أَمَرَ اللَّهُ نَبِيَّهُ بِتَطْهِيرِ الظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ ﴿وَتِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾؛ فَأَمَرَهُ بِإِبْعَادِ نَفْسِهِ عَنْ كُلِّ مَقْذُورٍ (3).

وَلَمَّا كَانَ اللَّهُ تَعَالَى قَدْ بَدَأَ بِأَحَدِ سَبَبِي الْقَبُولِ ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾؛ أَتْبَعَهُ الثَّانِي الْمُبْعَدَ عَنْ قَاصِمَةِ الْعَمَلِ مِنَ الْعُجْبِ وَالرِّيَاءِ بِقَوْلِهِ: ﴿وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ﴾ (4).

وَنَظَرًا لِّلْمَشَقَّةِ الْكَبِيرَةِ فِيمَا أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى نَبِيَّهُ ﷺ مِنَ التَّكَالِيفِ؛ فَقَدْ أَمَرَهُ بِالصَّبْرِ عَلَى هَذِهِ الْمَشَقَّاتِ، الَّتِي هِيَ مِنْ بَابِ الصَّبْرِ عَلَى الطَّاعَةِ (5).

الرَّسَالَةُ الْعَامَّةُ
تَقْتَضِي بَدَلَ
الْجُهْدِ فِي
الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ

(1) البقاعي، نظم الدرر: 21 / 40.

(2) البقاعي، نظم الدرر: 21 / 42.

(3) البقاعي، نظم الدرر: 21 / 43.

(4) البقاعي، نظم الدرر: 21 / 44.

(5) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 30 / 700، والبقاعي، نظم الدرر: 21 / 45.

❁ شَرْحُ الْمُفْرَدَاتِ:

(1) ﴿الْمَذْثَرُ﴾: (دثر) أصلٌ يدلُّ على تضاعفِ شيءٍ، وتناضدِ بعضه على بعضٍ، ومن ذلك: الدُّثْرُ، وهو المال الكثير⁽¹⁾، والدُّثَارُ، وهو ما يُتَدَثَّرُ به، ويُقال: قد تَدَثَّرَ الرَّجُلُ الفرسَ، أي: وثبَ عليه فركبهُ، ورجلٌ دَثُورٌ: حاملٌ مستترٌ، وسيفٌ داثِرٌ، وهو البعيدُ العهدُ بالصِّقالِ⁽²⁾. والمراد بالمدَّثَرِ هنا: الذي تَغَشَّى بثيابه ونام⁽³⁾.

(2) ﴿فَأَنْذِرْ﴾: (نذر) أصلٌ يدلُّ على تخويفٍ أو تخوُّفٍ، ومنه: الإنذارُ، وهو الإبلاغُ، ولا يكادُ يكونُ إلَّا في التَّخْوِيفِ⁽⁴⁾، قال تعالى: ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ﴾ [غافر: 18]، أي: خوِّفْهُمْ⁽⁵⁾، ويُقال: تناذَروا، أي: خوِّفْ بعضهم بعضًا، والنَّذِيرُ: المُنْذِرُ⁽⁶⁾، ويقعُ على كلِّ شيءٍ فيه إنذارٌ، إنسانًا كان أو غيره⁽⁷⁾. والمراد بالإنذار هنا: التَّخْوِيفُ والتَّحْذِيرُ من العذاب⁽⁸⁾ إن لم يؤمنوا بالله تعالى ويوحِّدوه.

(3) ﴿فَكَبِّرْ﴾: (كبر) أصلٌ يدلُّ على خلافِ الصَّغَرِ⁽⁹⁾، ومن ذلك: الكِبَرُ، وهو إعجابُ الإنسانِ بنفسِهِ، وذلك أن يَرَى نفسَهُ أكبرَ من غيرِهِ⁽¹⁰⁾، والكِبَرِيَاءُ: التَّكَبُّرُ والعظمة، وكِبَرُ كلِّ شيءٍ: عِظَمُهُ. وقوله ﷺ: ﴿وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ﴾ [النور: 11]؛ يعني: عِظَمَ هذا القذفِ⁽¹¹⁾، والتَّكْبِيرُ يقالُ لتعظيمِ الله تعالى بقولهم: الله أكبر، ولعبادته واستشعار تعظيمه⁽¹²⁾. والمراد هنا: تعظيمِ الله وتنزيهَهُ عَمَّا يقوله عبْدَةُ الأوثان، أو أن يقول: الله أكبر، أو التَّكْبِيرُ فِي الصَّلَوَاتِ⁽¹³⁾.

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة، والجوهري، الصحاح، والأزهري، تهذيب اللغة: (دثر).

(2) الأزهري، تهذيب اللغة، والراغب، المفردات: (دثر).

(3) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 59/19، والنسفي، مدارك التنزيل: 561/3، والشوكاني، فتح القدير: 388/5.

(4) ابن فارس، مقاييس اللغة: (نذر).

(5) الزبيدي، تاج العروس: (نذر).

(6) الأزهري، تهذيب اللغة، وابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم: (نذر).

(7) الراغب، المفردات: (نذر).

(8) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 61/19.

(9) ابن فارس، مقاييس اللغة: (كبر).

(10) السمين، عمدة الحفاظ: (كبر).

(11) الخليل، العين: (كبر).

(12) الراغب، المفردات: (كبر).

(13) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 697/30.

(4) ﴿وَيْبَاكَ﴾: (ثوب) أصلٌ يدلُّ على العَوْدِ والرُّجُوعِ⁽¹⁾، ومن ذلك يقال: ثَابَ فلانٌ إلى داره، أي: رَجَعَ، وقيل للمنزل: مَثَابَةٌ: لأنَّ أهله يتصرَّفون في أمورهم ثمَّ يثوبون - أي: يرجعون - إليه⁽²⁾، وسُمِّيَ مكانُ المُستسقي على فم البئر مَثَابَةً، وسُمِّيَ الثَّوبُ بذلك: لرجوع الغَزَلِ إلى الحالة الَّتِي قُدِّرَتْ له⁽³⁾. والمرادُ بالثَّياب هنا: العمل، أو القلب، أو النَّفس، أو الجسم، أو الأهل، أو الخُلُق، أو الدِّين، أو الثَّياب الملبوسات⁽⁴⁾.

(5) ﴿وَالرُّجْزَ﴾: (رجز) أصلٌ يدلُّ على اضطراب، ومن ذلك: الرَّجْزُ، وهو داءٌ يصيب الإبلَ في أعجازها، فإذا ثارت النَّاقَةُ ارتعَشَ فخذها⁽⁵⁾، والرجازة: كِسَاءٌ يُجْعَلُ فيه أحجار، فيعلَّقُ على أحد جانبيِّ الهودج إذا مالَ ليعتدل⁽⁶⁾، وذلك لما يتصوَّر فيه من حركته واضطرابه، والرُّجْز: العذاب، قال تعالى: ﴿إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ﴾ [العنكبوت: 34]⁽⁷⁾، وسُمِّيَ بذلك: لاضطرابهم عند نزوله بهم، والرُّجْز: الصنم. والمراد به هنا: الأوثان، أو الإثم، أو العذاب⁽⁸⁾.

(6) ﴿فَاهْجُرْ﴾: (هجر) أصلٌ يدلُّ على قطيعةٍ وقطع⁽⁹⁾، ومن ذلك: المهاجرة من أرضٍ إلى أرضٍ، أي: تركُ الأولى للثَّانية. والتَّهَجُّرُ: التَّقَاطُعُ⁽¹⁰⁾، والهَجْرُ والهَجْرَانُ: مفارقة الإنسانِ غيرَه، إمَّا بالبدن، أو باللسان، أو بالقلب، قال تعالى: ﴿وَأَهْجُرُوهُمْ فِي الْمَصَاجِعِ﴾ [النساء: 34] كنايةً عن عدم قُربهنَّ، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾ [الفرقان: 30] فهذا هَجْرٌ بالقلب، أو باللسان، وقوله: ﴿وَأَهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾ [الزمل: 10] يحتمل الثلاثة⁽¹¹⁾. والمراد بالهَجْر هنا: التَّرك.

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (ثوب).

(2) ابن منظور، لسان العرب: (ثوب).

(3) ابن دريد، جمهرة اللغة، والراغب، للفردات: (ثوب).

(4) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 62/19.

(5) ابن فارس، مقاييس اللغة: (رجز).

(6) ابن دريد، جمهرة اللغة: (رجز).

(7) الراغب، للفردات: (رجز).

(8) الجوهري، الصحاح: (رجز)، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 66/19.

(9) ابن فارس، مقاييس اللغة: (هجر).

(10) الأزهري، تهذيب اللغة، والجوهري، الصحاح: (هجر).

(11) الراغب، للفردات: (هجر).

(7) ﴿وَلَا تَمَنَّ﴾: (منن) أصلٌ يدلُّ على اصطناعٍ خيرٍ، ومن ذلك: المنَّةُ، وهي النُّعمَةُ الثَّقِيلَةُ⁽¹⁾، يقال: من فلانٌ على فلانٍ، إذا أثقله بالنُّعمَةِ، والمنُّ قد يكونُ بالفعل، وعلى ذلك قوله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ [آل عمران: 164]⁽²⁾، وقد يكونُ بالقول، كما في قوله تعالى: ﴿يَمْتُونُ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا﴾ [الحجرات: 17]⁽³⁾.

(8) ﴿تَسْتَكَثِّرُ﴾: (كثر) أصلٌ يدلُّ على خِلافِ القِلَّةِ⁽⁴⁾، ومن ذلك يُقال: رجلٌ مُكْثِرٌ، أي: كثيرُ المال، ورجلٌ مِكَثَارٌ وامرأةٌ مِكَثَارَةٌ إذا كانا كثيرَي الكلام، ورجلٌ مِكَثُورٌ عليه إذا كُثِرَ مَنْ يطلبُ إليه المعروف⁽⁵⁾، والمِكَاثَرَةُ والتَّكَاثُرُ: التَّسَابُقُ في كثرةِ المال والعزِّ، قال تعالى: ﴿أَلْهَكُمُ التَّكَاثُرُ﴾ [التكاثر: 1]⁽⁶⁾. ومعنى ﴿وَلَا تَمَنَّ تَسْتَكَثِّرُ﴾: لا تمننْ على ربِّك بما تتحمَّله من أثقالِ النُّبوَّةِ، كالذي يستكثر ما يتحمَّله بسببِ الغير، أو لا تُعْطِ عَطِيَّةً تلتَمِسُ بها أفضلَ منها، أو لا تضعفْ أن تستكثر من الخير، أو لا تُعْظِمَ عملك في عينك، أو لا تمننْ بالنُّبوَّةِ والقرآن على النَّاسِ فتأخذ منهم أجرًا تستكثر به، أو لا تعمل طاعةً وتطلب ثوابها، ولكن اصبر حتَّى يكون الله هو الذي يُثَبِّك عليها، أو لا تفعل الخير لثرائي به النَّاسِ⁽⁷⁾.

❁ المعنى الإجمالي:

يخاطبُ الله تعالى نبيَّه ﷺ، فيقول: يا أيُّها الملتفُّ بثيابه، انْهَضْ وبادِرْ إلى التَّخْوِيفِ من عذابِ الله، وعظِّمْ ربِّك بالعبادة وقول: (الله أكبر) والالتجاءِ إليه، ونظِّفْ ثيابك من الأقدار، أو طهِّرْ نفسك ممَّا

تحلية النَّبِيِّ
بالأخلاق
الفاضلة في
بداية دعوته

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة، والزبيدي، تاج العروس: (منن).

(2) الراغب، المفردات: (منن).

(3) السمين، عمدة الحفاظ: (منن).

(4) ابن فارس، مقاييس اللغة: (كثر).

(5) الأزهري، تهذيب اللغة: (كثر).

(6) الراغب، المفردات: (كثر).

(7) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 68 / 19 - 67.

كانوا عليه من الأخلاق الذميمة، وترك عبادة الأوثان أو أسباب العذاب، ولا تُعط عطيةً ترجو أعظم منها، أو لا تستكثر عملك على ربك، أو لا تضعف أن تستكثر من الخير، أو لا تمنن بالنبوة على الناس، تأخذ عليها منهم أجراً، واصبر على ما تُلاقي من المشاق والآثام، وعلى رأس ذلك ما تُلاقيه في الدعوة إلى الله من المكروه⁽¹⁾.

❁ الإيضاح اللغوي والبلاغي:

سر افتتاح السورة بالنداء:

افتتاح السورة بالنداء في قوله ﷺ: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾ مع أن المخاطب - وهو النبي ﷺ - واحد غير بعيد؛ للاهتمام بما سيلقى إليه من الكلام، وبيان أنه في غاية العظمة⁽²⁾. وفي النداء أيضاً تحبب له ﷺ وإشعار بمنزلته عند ربه، وكل ذلك بين يدي تكليفه بالأوامر العظيمة، والمطالب الجسيمة.

سر النداء بوصف المدثر مادة وصيغة:

تعريف المدثر في قوله ﷺ: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾ للعهد؛ لأن المراد به هو رسول الله ﷺ بالإجماع⁽³⁾. ونداء النبي بـ ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾ نداءً تلطف ورفق وإشعار بقربه من الله ﷻ، لأن النداء قد وقع باعتبار ما كان عليه من هيئة التدثر بالثياب⁽⁴⁾، والعرب إذا قصدت الملاحظة بترك المعاتبة؛ نادوا المنادى باسم مشتق من حالته التي هو عليها⁽⁵⁾. وصيغة التفعّل في ﴿الْمُدَّثِّرُ﴾ للتكلف، أو المراد الكمال المترتب على التكلف⁽⁶⁾. ممّا يدل على شدة تلبس النبي ﷺ بالتدثر.

عظمة شأن
الأوامر التي
صدّرت بها
السورة

الرفق بالنبي
ﷺ في النداء
من صور الآلاء

(1) ابن جرير الطبري، جامع البيان: 23 / 7 - 16.

(2) البقاعي، نظم الدرر: 21 / 40.

(3) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 30 / 696.

(4) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 19 / 61، وأبو حيان، البحر المحیط: 10 / 324، وابن عاشور،

التحرير والتنوير: 29 / 294، 256.

(5) القنوي، حاشية على تفسير البيضاوي: 19 / 401.

(6) القنوي، حاشية على تفسير البيضاوي: 19 / 400.

النُّبُوَّةُ رداءً
عظيم

دلالة ﴿الْمَدَّيَّر﴾ بين الحقيقة والمجاز:

الظاهر أنَّ الوصفَ بالمدَّيَّر في قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الْمَدَّيَّرُ﴾ حقيقة، وأنَّ المراد ندائُه ﴿الله﴾ بالصِّفة التي كان عليها، وهي التَّغَطِّي بِثِيَابِه⁽¹⁾.

ويحتمل أن يكون مجازاً على معنى المدَّيَّر بالنُّبُوَّة، كما يقال: ارتدى بالمجد وتأزَّر به، أي: يا أيُّها اللَّابِسُ خُلِّعَةِ النُّبُوَّة وديَّارها⁽²⁾، ونوعُ هذا المجاز - على الأظهر - هو الاستعارة التَّمثِيلِيَّة⁽³⁾.

أو المعنى: يا أيُّها المدَّيَّر بدثار الخُمُول والاختفاء في جبلٍ حراء، قُم بهذا الأمر واخْرُجْ من زاوية الخُمُول، واشتغلْ بإنذار الخلق، والدَّعْوَة إلى معرفة الحق.

أو المعنى: يا أيُّها المدَّيَّر بأثواب العلم العظيم، والخلق الكريم، والرَّحمة الكاملة؛ قُم فأنذِر⁽⁴⁾.

دلالة الأمر في ﴿قُمْ فَأَنْذِرْ﴾:

الأمرُ بالقيام والإنذار في قول الحقِّ ﷻ: ﴿قُمْ فَأَنْذِرْ﴾ للوجوب؛ إذ هو الأصل ولا صارفَ عنه، بل مقامُ التَّكْلِيفِ بالرسالة يقتضيه.

بلاغة التعبير بالقيام بين الحقيقة والمجاز:

يحتمل أن يكون القيامُ في قوله ﷻ: ﴿قُمْ فَأَنْذِرْ﴾ على حقيقته، والمعنى: قُمْ من مضجعك⁽⁵⁾.

ويحتمل أن يكون مستعملاً في غير حقيقته؛ لأنَّ النَّبِيَّ ﷺ لم يكن حين أُوحيَ إليه بهذا نائماً ولا مضطجعاً، ولا هو مأمورٌ بأن ينهضَ على قدميه، وإنَّما هو مستعملٌ في الأمر بالمبادرة والإقبال والتَّهَمُّم

وجوبُ الإقبال
على الإنذار بعزمٍ
وتصميمٍ

(1) البيضاوي، أنوار التنزيل: 259 / 5، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 294 / 29.

(2) القاسمي، محاسن التأويل: 350 / 9، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 294 / 29.

(3) القونوي، حاشية على تفسير البيضاوي: 402 / 19.

(4) الفخر الرَّازي، مفاتيح الغيب: 696 - 697.

(5) البيضاوي، أنوار التنزيل: 259 / 5، والنسفي، مدارك التنزيل: 561 / 3.

بالإنذار مجازاً أو كناية⁽¹⁾، والمعنى: قُمْ قِيَامَ عَزْمٍ وتصميم⁽²⁾. وقد شاعَ هذا الاستعمالُ في فعل القيام، حتَّى صارَ معنى الشُّروع في العمل من معاني مادَّة القيام مساوياً للحقيقة، وجاء بهذا المعنى في كثيرٍ من كلامهم⁽³⁾.

معنى الفاء في ﴿فَأَنْذِرْ﴾:

الفاءُ في قوله تعالى: ﴿فُمْ فَأَنْذِرْ﴾ دخلت على معنى جوابِ الجزاء⁽⁴⁾، وفيها دلالةٌ على تسبُّبِ الإنذار عن القيام⁽⁵⁾، وتفرُّعه عنه، وتنبهٌ على أنَّ الإنذارَ هو المرادُ من الأمرِ بالقيام، والمعنى: يا أيُّها المدبِّرُ من الرُّعب لرؤية ملك الوحي لا تخفَّ وأقبلْ على الإنذار⁽⁶⁾.

سرُّ إينارِ التعبيرِ بالإنذار:

الإنذارُ: الإعلامُ بما ينبغي أن يُحذَرَ منه⁽⁷⁾. والإخبارُ بما فيه توقُّعُ ضرٍّ وشرٍّ، وبما يُخاف ويُكره⁽⁸⁾. ومن هنا أُوثرَ التَّعبيرُ به في قول الباري ﷻ: ﴿فَأَنْذِرْ﴾، ولم يُقل: (فأعلم)؛ لدلالة الإنذار على الإعلامِ المقترنِ بالتَّخويفِ والتَّهديدِ، فيكون أنسبَ بمقامِ ابتداءِ النَّاسِ بالرسالة، وحثِّهم على تصديقِ النَّبيِّ ﷺ؛ إذ فيه إيماءٌ إلى أنَّ المعرضَ عن الدَّعوة مُعرِّضٌ نفسه للعقاب.

نكتةٌ حذفِ مفعولِ الإنذار:

قوله تعالى: ﴿فَأَنْذِرْ﴾ يحتمل أن يكون معناه: خوِّفْ أهلَ مكة وحذِّرْهم العذاب إن لم يُسلِّموا، أو خوِّفِ النَّاسَ، فيكون المفعولُ

القيامُ وسيلةً
للإنذار

المُعرِّضُ عن
الدَّعوة مُعرِّضٌ
نفسه للعقاب

النَّبِيُّ ﷺ داعٍ
جميعِ النَّاسِ
إلى الله تعالى

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 294 / 29 - 295.

(2) البياضوي، أنوار التنزيل: 5 / 259، والنسفي، مدارك التنزيل: 3 / 561.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 294 / 29 - 295.

(4) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 19 / 62.

(5) البقاعي، نظم الدرر: 21 / 41.

(6) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29 / 295.

(7) البقاعي، نظم الدرر: 9 / 67، و1 / 98.

(8) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 7 / 372، و8 / 78، و11 / 62.

مقدَّرًا. ويحتمل أن يكون الفعلُ قد نُزِلَ منزلةً اللازمَ للتَّعميمِ، والمعنى: فافعلِ الإنذارَ⁽¹⁾. وأيًا ما كان فمعلومٌ من الدين بالضرورة أن رسالة النبي ﷺ عامَّة، ومن قدر: (خَوْفٌ أهل مكة) فمُراده أن هؤلاء يدخلون في الإنذار دخولًا أوليًا، لا أنهم يُنذَرُونَ دون غيرهم.

سرُّ الاختصارِ على الإنذار:

اقتصر على الإنذار في قوله ﷺ: ﴿فَأَنْذِرْ﴾، ولم يُقل: (وبشِّر)؛ لأنَّه كان في ابتداء النبوة، والإنذار هو الغالب؛ لأنَّ البشارة لمن آمن، ولم يكن إذ ذاك مؤمنون. ويجوز أن يكون اكتفاءً؛ لأنَّ الإنذار يلزمه التبشير⁽²⁾ بوصفهما من خصائص الرسالة والدعوة⁽³⁾.

سرُّ تقديم الأمرِ بالإنذارِ على غيره مِنَ الأوامر:

ابتدئ بالأمر بالإنذار في قوله ﷺ: ﴿فَأَنْذِرْ﴾، وقُدِّمَ على سائر الأوامر المذكورة في السورة؛ لأنَّ الإنذارَ يجمعُ معاني التحذير من فعلٍ شيءٍ لا يليقُ وعواقبه؛ فالإنذارُ حقيقٌ بالتقديم قبل الأمر بمحامدِ الفعال؛ لأنَّ التَّخليةَ مقدَّمةً على التَّحلية، ودرءُ المفاسد مقدَّمٌ على جلبِ المصالح، ولأنَّ غالبَ النَّاسِ يومئذٍ مُحتاجٌ إلى الإنذار والتحذير⁽⁴⁾.

دلالة الواوِ في ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾:

الواو في قول الحق ﷻ: ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾ لعطف هذه الجملة على جملة ﴿قُمْ فَأَنْذِرْ﴾⁽⁵⁾، فتُفيدُ الجمعَ بين الإنذارِ وتعظيمِ الله تعالى، ومن لطائف ذلك الاقتران بين تعظيمه تعالى حقَّ التعظيم بحيث يصغرُ كلُّ شيءٍ دونه، وبين تنزيهه سبحانه عن الشُّركِ أولًا، وعن

الإنذارُ والتبشيرُ
قرينانِ وحالُ
النَّاسِ في ابتداء
الرَّسالةِ هو
الإنذارُ

درءُ المفاسدِ
مقدَّمٌ على جلبِ
المصالحِ

الجمعُ بين
الإنذارِ وتعظيمِ
الله تعالى طريقُ
الفلاحِ والنَّجاحِ

(1) البياضوي، أنوار التنزيل: 5/ 259، والطبي، فتوح الغيب: 16/ 111، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 9/ 54، والقونوي، حاشية على تفسير البياضوي: 19/ 403 - 404.

(2) الخفاجي، غاية القاضي: 8/ 270، والكلوسي، روح المعاني: 15/ 130، والقاسمي، محاسن التأويل: 9/ 350.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 2/ 306.

(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 295.

(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 295.

كُلُّ مَا لَا يَلِيقُ بِهِ مِنْ وَصْلٍ وَفَصْلٍ، وَمِنْ سَوْأَلٍ غَيْرِهِ، وَالِاسْتِغْفَالِ بِسَوَاهٍ⁽¹⁾، وَهَذَانِ مِنْ وَسَائِلِ النَّجَاحِ وَالْفَلَاحِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

سُرُّ التَّعْبِيرِ بِعَنْوَانِ الرُّبُوبِيَّةِ مَضَافًا إِلَى ضَمِيرِ النَّبِيِّ ﷺ:

عُبرَ بِعَنْوَانِ الرُّبُوبِيَّةِ مَضَافًا إِلَى ضَمِيرِهِ ﷺ فِي قَوْلِهِ جَلٍّ مِنْ قَائِلٍ: ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾؛ لِدَلَالَتِهِ عَلَى تَعْظِيمِ النَّبِيِّ ﷺ بِكَوْنِهِ عَبْدًا لِلَّهِ تَعَالَى، وَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى هُوَ الَّذِي رَبَّاهُ، أَيِ: سَيِّدَكَ وَمَالِكَكَ وَمُصْلَحَ أَمْرِكَ فَعُظِّمُ⁽²⁾.

نَكْتَةُ تَقْدِيمِ ﴿وَرَبَّكَ﴾:

تَقْدِيمُ الْمَفْعُولِ فِي قَوْلِهِ ﷺ: ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾؛ لِلاِهْتِمَامِ بِهِ⁽³⁾، أَوْ لِإِفَادَةِ الْاِخْتِصَاصِ، وَهُوَ قَصْرُ إِفْرَادٍ، أَيِ: دُونَ الْأَصْنَافِ⁽⁴⁾، وَالْمَعْنَى: وَاخْتَصَّ رَبُّكَ بِالتَّكْبِيرِ - وَهُوَ التَّعْظِيمُ - أَيِ: لَا يَكْبُرُ فِي عَيْنِكَ غَيْرُهُ، وَقُلَّ عِنْدَ مَا يَعْرُوكُ مِنْ غَيْرِهِ: اللَّهُ أَكْبَرُ⁽⁵⁾.

مَعْنَى الْفَاءِ فِي ﴿فَكَبِّرْ﴾ وَمَا بَعْدَهُ:

الْفَاءُ فِي قَوْلِ الْحَقِّ ﷺ: ﴿فَكَبِّرْ﴾؛ لِلدَّلَالَةِ عَلَى شَرْطٍ مَحْذُوفٍ يَكُونُ (كَبَّرَ) جَوَابَهُ، وَالتَّقْدِيرُ: مَهْمَا يَكُنْ شَيْءٌ فَكَبَّرَ رَبُّكَ⁽⁶⁾، وَالْمَعْنَى: أَلَّا يَفْتَرَّعَ الْإِعْلَانُ بِتَعْظِيمِ اللَّهِ وَتَوْحِيدِهِ فِي كُلِّ زَمَانٍ وَكُلِّ حَالٍ، وَهَذَا مِنَ الْإِيْجَازِ⁽⁷⁾، أَوْ لِلدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّ الْمَقْصُودَ الْأَوَّلَ مِنَ الْأَمْرِ بِالْقِيَامِ أَنْ يُكَبِّرَ رَبَّهُ عَنِ الشُّرْكِ وَالتَّشْبِيهِ؛ فَإِنَّ أَوَّلَ مَا يَجِبُ مَعْرِفَةُ الصَّانِعِ، وَأَوَّلَ مَا يَجِبُ بَعْدَ الْعِلْمِ بِوُجُودِهِ تَنْزِيهِهُ، وَالْقَوْمُ كَانُوا مُقَرِّينَ بِهِ⁽⁸⁾.

وَيَحْتَمِلُ أَنْ تَكُونَ الْفَاءُ زَائِدَةً، كَقَوْلِكَ: زَيْدًا فَاضْرِبْ، تَرِيدُ: زَيْدًا

الله تعالى هو
المتوَلَّى تَرْبِيَةً نَبِيَّه
ﷺ

الله تعالى
هو المستحق
للتَّعْظِيمِ

الإِعْلَانُ بِتَعْظِيمِ
الله وتَوْحِيدِهِ فِي
كُلِّ زَمَانٍ

(1) البقاعي، نظم الدرر: 42 / 21.

(2) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 61 / 19، والبقاعي، نظم الدرر: 42 / 21.

(3) السمين، الدر للمصون: 534 / 10.

(4) الزمخشري، الكشاف: 645 / 4، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 295 / 29.

(5) النسفي، مدارك التنزيل: 562 / 3.

(6) البياضوي، أنوار التنزيل: 259 / 5، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 62 / 19.

(7) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 296 / 29.

(8) البياضوي، أنوار التنزيل: 259 / 5.

اضرب، ومعناه توكيد تعليق الفعل بما قبله من المعمول مبالغة في السببية والحصر، وبهذا التوجيه نفى ابن الشجري أن تكون هذه الفاء رابطة لجواب شرط محذوف⁽¹⁾. ومثل ذلك يُقال في ﴿فَطَهَّرْ﴾ و﴿فَاهْجُرْ﴾ و﴿فَأَصْبِرْ﴾.

بلاغة التعبير بالتكبير:

التكبير في قوله تعالى: ﴿فَكَبِّرْ﴾ مجازي بتشبيه الشيء المعظم بشيء كبير في نوعه بجامع الفضل على غيره في صفات مثله⁽²⁾، والمراد تعظيم الله ﷻ، ووصفه بأنه أكبر من أن يكون له صاحبة أو ولد أو شريك، وذلك يستدعي خلع الأنداد والأصنام، وإفراذه بالعبادة والولاية⁽³⁾، وتنزيهه عن كل ما لا يليق به ﷻ⁽⁴⁾.

ويشمل هذا المعنى أن يقول: (الله أكبر)؛ لأنه إذا قال هذه الكلمة أفاد وصف الله بأنه أكبر من كل كبير، أي: أجل من كل جليل، ولذلك جعلت هذه الكلمة افتتاحاً للصلاة، وفي ذكر التكبير أيضاً إيماء إلى شرع الصلاة التي أولها التكبير، وبخاصة اقترانه بقوله: ﴿وَتَبَايَكَ فَطَهَّرْ﴾؛ فإنه إيماء إلى شرع الطهارة، فلعل ذلك إعداد لشرع الصلاة⁽⁵⁾.

دلالة الأمر بالتكبير مادةً وصيغة:

الأمر في قول الباري ﷻ: ﴿فَكَبِّرْ﴾ للوجوب، فيفيد أن تكبير الله ﷻ - وهو تعظيمه - مفروض على النبي ﷺ. وفعل ﴿فَكَبِّرْ﴾ يفيد معنى نسبة مفعوله إلى أصل مادة اشتقاقه، وذلك من معاني صيغة (فعل)، أي: أخبر عنه بخبر التعظيم⁽⁶⁾.

تنزيه الله تعالى
عن النقائص
ووصفه بكل
عظيم

تعظيم الله
تعالى واجب

(1) ابن الشجري، أمالي ابن الشجري: 2/ 326، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 19/ 62، وقباوة،

الفصل في شرح الجلالين، ص: 2040.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 296.

(3) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 19/ 61 - 62.

(4) البقاعي، نظم الدرر: 21/ 42.

(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 296.

(6) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 296.

سرُّ تقديم الأمر بالتَّكْبِير على ما بعده:

ذَكَرُ جُمْلَةً ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾ بعد الأمر السَّابِقِ مَقْدَمَةً على سائر الجمل؛ فيه إشارة إلى مزيد الاهتمام بأمر التَّكْبِير، وإيماءً إلى أَنَّ المقصود الأوَّل من الأمر بالقيام أن يكْبُرَ رَبَّهُ ﷻ وينزِّهه من الشُّرْك، والكلام تعريضٌ بالمشرِّكين. وفي ذكر هذه الجملة أيضًا مسارعةٌ لتشجيعه ﷻ على الإنذار وعدم مبالاته بما سواه ﷻ، حيث تضمَّنَت الإشارة إلى أَنَّ نَوَاصِيِ الخَلَائِقِ بيده تعالى، وكلُّ ما سواهٌ مهوَّورٌ تحت كبريائه تعالى وعظمتِه، فلا ينبغي أن يُرهبَ إلَّا منه، ولا يُرغبَ إلَّا فيه⁽¹⁾.

تنزيه الله تعالى
أعظم مقصود،
وأسمى مطلوب

دلالة الواو في ﴿وَتِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾:

الواو في قوله ﷻ: ﴿وَتِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ لعطف هذه الجملة على ما قبلها، وذكر أمرٍ جديدٍ من الأوامر الموجهة إليه ﷻ بعد الأمر بالقيام والإنذار والتَّكْبِير.

بلغة التعبير بالثَّيَابِ والتَّطْهِيرِ:

يَحْتَمِلُ أن يُحْمَلَ لفظاً (الثَّيَاب) و(التَّطْهِير) في قوله تعالى: ﴿وَتِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ على حقيقتيهما، ويكون المراد أنَّه ﷻ أَمَرَ بتطهير ثيابه من الأنجاس والأفذار، والمقصودُ منه الإعلامُ بأنَّ الصَّلَاةَ لا تجوز إلَّا في ثيابٍ طاهرةٍ من الأنجاس، وأنَّ على النَّبِيِّ ﷺ أن يُخَالَفَ المشرِّكين الذين ما كانوا يصونون ثيابهم عن النَّجَاسَاتِ.

وجوبُ تطهير
الثَّيَاب من
الأنجاس
والأفذار في
الصَّلَاة وخارجها

ويَحْتَمِلُ أن يُتْرَكَ لفظُ (الثَّيَاب) على حقيقته، ويُحْمَلَ لفظُ (التَّطْهِير) على مجازهِ، والمرادُ الأمرُ بتقصير الثَّيَاب؛ لأنَّ العرب كانوا يُطَوِّلون ثيابهم للخِيَلَاءِ والكِبَرِ، فكانت ثيابهم تتنجَّس، فنُهِيَ الرَّسُولُ ﷺ عن هذا الخُلُقِ الشَّنِيعِ. أو المراد: ينبغي أن تكون الثَّيَابُ

وجوبُ تقصير
الثَّيَاب وتركِ
الخِيَلَاءِ والكِبَرِ

(1) الآلوسي، روح المعاني: 15 / 130.

الَّتِي تلبسها مطهَّرةً عن أن تكون مغصوبةً أو محرَّمةً، بل ينبغي أن تكون مكتسبةً من وجهٍ حلال.

ويحتملُ أن يكون الكلامُ كنايةً عن تجنُّبِ الأقدارِ كُلِّها؛ لأنَّ مَنْ جَنَّبَ ذلكَ ملبسَهُ أبعدَهُ عن نفسه من باب الأولى⁽¹⁾.

ويحتملُ أن يُتركَ لفظُ (التَّطْهِيرِ) على حقيقته، ويُحملَ لفظُ (الثَّيَابِ) على مجازِهِ، وذلكَ لأنَّ العربَ ما كانوا يتنظَّفونَ وقتَ الاستنجاءِ، فأَمَرَ ﷺ بذلكَ التَّنْظِيفِ، ويُجعلَ لفظُ الثَّيَابِ كنايةً نسبةً حيثُ أَمَرَ بتطهيرِ الثَّوبِ وأرادَ تطهيرِ النَّفْسِ التي بداخله.

ويجوزُ أن يُحمَلَ لفظاً (الثَّيَابِ)، و(التَّطْهِيرِ) على المجازِ، والمعنى: وقلِّبَكَ فَطَهَّرَ عن الصِّفَاتِ المذمومةِ الَّتِي يَتَّصِفونَ بها، وَخُلِقَكَ فَحَسِّنْ واصْبِرْ، ولا تحملَنَّ سفاهتَهُم على تركِ إنذارِهِم، أو على الانتقامِ منهم⁽²⁾.

غرضُ الإِضافةِ في ﴿وَيْثَابَكَ﴾:

الإِضافةُ في قوله تعالى: ﴿وَيْثَابَكَ﴾ لاميةٌ، فتفيدُ أنَّ على النَّبيِّ ﷺ أن يعتنِيَ بتطهيرِ ثيابه الخاصَّةِ به، وفي ذلكَ تنبيهٌ على عظمِ المسؤوليَّةِ.

سرُّ تقديمِ ﴿وَيْثَابَكَ﴾:

تقديمُ ﴿وَيْثَابَكَ﴾ على ﴿فَطَهَّرَ﴾؛ للإِذْناح بالاختصاصِ؛ فالإنسانُ يطهِّرُ ثيابه لا ثيابَ غيره، أو للاهتمامِ بالأمرِ بالتَّطْهِيرِ⁽³⁾.

دلالةُ الأمرِ بالتَّطْهِيرِ:

الأمرُ في قوله تقدَّستُ أسماؤه: ﴿وَيْثَابَكَ فَطَهَّرَ﴾ للجُوبِ، فيفيدُ أنَّ تطهيرِ الثَّيَابِ - على الاختلافِ في تفسيرِ التَّطْهِيرِ والثَّيَابِ -

وجوبُ التَّنْظِيفِ
وقتَ الاستنجاءِ

وجوبُ تطهيرِ
النَّفْسِ عن
الصِّفَاتِ
والأخلاقِ
الذَّميمةِ

حرصُ الإسلامِ
على تطهيرِ
الظاهرِ والباطنِ

(1) البقاعي، نظم الدرر: 21/ 43.

(2) الزمخشري، الكشاف: 4/ 645، وابن عطية، للحرر الوجيز: 5/ 392، والفخر الرازي، مفاتيح الغيب:

698 - 699.

(3) السمين، الدر المنون: 10/ 534.

مِمَّا يَلِزَمُهُ ﷺ، وفي ذلك ما لا يخفى من التنبية على عظمة شأن الطهارة والتزكية في الإسلام.

دلالة الواو في ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾:

الواو في قوله ﷺ: ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾ للعطف، فتفيد أَنَّ الأمر بهجر الرُّجْز من جملة الأوامر الموجهة إليه ﷺ في هذه السورة. وفيه تعلُّق بجملة تطهير الثياب؛ من حيث كونه أمراً بالتطهر بتجنب كلِّ ما يندرج تحت دائرة الرُّجْز؛ من الشُّرك وعبادة الأوثان.

تطهير الاعتقاد
مكمل لتطهير
النفس والثياب

توجيه القراءات في ﴿وَالرُّجْزَ﴾:

قرأ حفص وأبو جعفر ويعقوب: ﴿وَالرُّجْزَ﴾ بضمِّ الرَّاء. وقرأ الباقر بكسرها: ﴿وَالرِّجْزَ﴾⁽¹⁾. فيحتمل أنَّهما لغتان بمعنى واحد⁽²⁾. ويحتمل أَنَّ المضموم بمعنى الأوثان، ومعنى الكلام: والأوثان فاهجر عبادتها، وتجنب خدمتها، وأنَّ المكسور بمعنى العذاب، أي: والعذاب فاهجر، أي: ما أوجب لك العذاب من الأعمال فاهجر⁽³⁾، فهو على حذف مضاف أو على إقامة المسبب مقام سببه⁽⁴⁾، أو المكسور بمعنى النجاسة والمعصية⁽⁵⁾.

وجوب اجتناب
الأوثان والعذاب
والمعاصي

نكتة تعريف الرُّجْز:

تعريف الرُّجْز في قول الحقِّ جلَّ ذكره: ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾ للجنس المستغرق لجميع أفرادهِ؛ إذ المراد هجر جميع الأوثان أو المعاصي أو أفراد العذاب.

غرض تقديم ﴿وَالرُّجْزَ﴾:

تقديم ﴿وَالرُّجْزَ﴾ على ﴿فَاهْجُرْ﴾ للاهتمام به في سياق

(1) ابن الجزي، النشر: 2/ 393.

(2) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 19/ 67.

(3) ابن جرير الطبري، جامع البيان: 23/ 12.

(4) السمين، الدر للصون: 10/ 535.

(5) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 19/ 67.

الأمر بتركه⁽¹⁾، إشعارًا بخطره، وتنبیهًا على عظيم ضرره. أو للاختصاص⁽²⁾، أي: والرُّجَزَ دون غيره فاهْجُرْ.

دلالة الأمر بالهجر:

الأمر في قوله تعالى: ﴿فَاهْجُرْ﴾ للدوام على الهجر؛ لأنه ﷻ كان بريئًا من عبادة الأوثان والشرك بالله، وكلُّ ما يؤدي إلى العذاب⁽³⁾. منزهاً من كل مستقذر مذموم.

بلادة التعبير بالهجر:

عُبرَ بالهجر في قوله ﷻ: ﴿فَاهْجُرْ﴾؛ لما فيه من المبالغة؛ لأنه ترك المخالطة وعدم الاقتراب من الشيء، وهو هنا كناية عن ترك التلبُّس بالأحوال الخاصة بأنواع الرُّجَز لكلِّ نوع بما يُناسبه في عرف النَّاس⁽⁴⁾، فالمطلوب مجانية الرُّجَز ظاهراً وباطناً، جهاراً وعبادةً، ليحصل له ﷻ الثَّواب، كما كان يُجانبها سرّاً وعادة⁽⁵⁾.

دلالة الواو في ﴿وَلَا تَمْنُنْ﴾:

الواو في قوله ﷻ: ﴿وَلَا تَمْنُنْ تَسْكَثِرُ﴾ لعطف هذه الجملة على جملة الأمر بهجر الرُّجَز. ومناسبة هذا العطف: أنَّ المَنَّ في العطية كثيرٌ من خُلُقِ أهل الشرك، فلَمَّا أمره الله بهجر الرُّجَزِ نَهَاهُ عن أخلاق أهل الرُّجَزِ⁽⁶⁾.

غرض النَّهي في ﴿وَلَا تَمْنُنْ﴾:

النَّهي في قوله تعالى شأنه: ﴿وَلَا تَمْنُنْ تَسْكَثِرُ﴾ لتحريم التخلُّق بأخلاق أهل الرُّجَز من المَنَّ بالعطاء، وهو نهي يقتضي الأمر بالصدقة

اجتناب كلِّ ما
يتعلَّق بالرُّجَز
مطلوب

هجر الأوثان
يستدعي ترك
التخلُّق بأخلاق
عَبَدَتِهَا

عدم المَنَّ
بالعطاء من
أخلاق أهل
الرَّوْءة

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 298 / 29.

(2) السمين، الدر للصون: 534 / 10.

(3) الزمخشري، الكشاف: 645 / 4، والنسفي، مدارك التنزيل: 562 / 3.

(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 298 / 29.

(5) البقاعي، نظم الدرر: 44 / 21.

(6) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 298 / 29.

والإكثارَ منها بطريق الكناية، فكأنه قال: وتصدق وأكثِرْ من الصدقة ولا تمنن، أي: لا تعدّ ما أعطيتَه كثيرًا، فتُمْسِكِ عن الزيادة فيه، أو تتطرّق إليك ندامةً على ما أعطيت⁽¹⁾. والنهي للتحريم، وهو خاصٌّ برسول الله ﷺ؛ لأنّ الله تعالى اختار له أشرف الأخلاق وأحسن الآداب، أو النهي للتنزيه، وهو له ﷺ ولغيره⁽²⁾. والمراد: عدم الوقوع في الفعل لا الكف عنه، و(لا) طلبية للنهي، والنهي بها موجّه إلى العطاء مقيّدًا بطلب الأجر لا إلى العطاء وحده⁽³⁾.

نكتة حذف متعلّق المن والاستكثار:

حُذِفَ متعلّق المن والاستكثار في قول الباري ﷻ: ﴿وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ﴾؛ للدلالة على العموم، وبيان أنّ المن مذموم أيّ كان الممنون به، وعلى رأس ذلك المن بالعطاء، وكذلك الاستكثار مذموم أيّ كان المُستكثر منه إلا الاستكثار من الخير⁽⁴⁾.

المن والاستكثار
منهيه عنهما
مطلقًا

دلالة صيغة الاستفعال في ﴿تَسْتَكْثِرُ﴾:

السّين والتّاء في قوله تعالى: ﴿تَسْتَكْثِرُ﴾ للوجدان⁽⁵⁾، أي: بعد ما أعطيتَه كثيرًا. وهذا من بدیع التّأكيد لحصول المأمور به، جُعِلَتِ الصدقة كالحاصلة؛ لأنّها من خُلِقَ ﷻ؛ إذ كان أجود النّاس، وقد عُرِفَ بذلك من قبل رسالته؛ لأنّ الله هيّأه لمكارم الأخلاق، ففي هذه الآية إيماء إلى التّصدق⁽⁶⁾.

التّصدق من
شيم النبي ﷺ

دلالة الواو في ﴿وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾:

الواو في قوله ﷻ: ﴿وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾ لعطف الأمر بالصّبر على ما قبله، فتفيد أنّ الصّبر من جملة الأوامر الموجهة إلى النّبي ﷺ.

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29 / 298.

(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 9 / 55.

(3) قباوة، الفضل في شرح الجلالين: ص 2040.

(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29 / 298 - 299.

(5) الألوسي، روح المعاني: 15 / 133.

(6) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29 / 298 - 299.

معنى اللّام في ﴿وَلِرَبِّكَ﴾:

الصَّبْر لأجل الله
تعالى عبادة
عظيمة

اللام في قوله جلّ من قائل: ﴿وَلِرَبِّكَ﴾ للعلّة، أي: لوجه ربك فاصبر على أذى الكفار، وعلى عبادة ربك، وعن كلّ ما لا يليق. ويحتمل أن تكون اللام لتضمنين (اصبر) معنى: أذعن لربك وسلّم له أمرك صابراً⁽¹⁾.

سرّ التعبير بعنوان الرُّبُوبِيَّةِ مضافاً إلى ضمير النبي ﷺ:

الصَّبْر لأجل
المُحْسِن واجب

في التعبير عن الله تعالى بوصف الرُّبُوبِيَّةِ في جملة: ﴿وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾ إيماءً إلى أنّ هذا الصَّبْر برٌّ بالمولى وطاعة له⁽²⁾، ولأنّ الرُّبُوبِيَّةَ بمنزلة العلّة للأمر بالصَّبْر، وكأنّ المعنى: اصبر لله؛ لأنّه المُحْسِنُ إليك، المُربّي لك، المُدبّر لجميع مصالحك⁽³⁾.

غرض تقديم ﴿وَلِرَبِّكَ﴾:

الصَّبْر محطّ
اهتمام الشّارع

تقديم ﴿وَلِرَبِّكَ﴾ على ﴿فَاصْبِرْ﴾: للاهتمام بالأمر التي يصبر لأجلها، مع الرّعاية على الفاصلة⁽⁴⁾، ولتقوية الدّاعي إلى الصَّبْر⁽⁵⁾، أو للتّخصيص⁽⁶⁾ بأن يكون الصَّبْر خالصاً لوجه الكريم ﷻ.

دلالة الأمر بالصَّبْر:

الأمر بالصَّبْر في قوله ﷻ: ﴿فَاصْبِرْ﴾ للوجوب؛ لأنّه الأصل، ولا صارف عنه، بل سياق الحثّ على الإنذار ومكارم الأخلاق يقتضيه.

بلاغة التعبير بالصَّبْر:

عُبر بالصَّبْر في قوله جلّ ذكره: ﴿فَاصْبِرْ﴾؛ لدلالته على ثبات النّفس وتحملها المشاق والآلام ونحوها⁽⁷⁾، فيكون مناسباً لمقام الإنذار الذي هو مظنة لأذى المشركين.

(1) السمين، الدر المنون: 538 / 10.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 300 / 29.

(3) البقاعي، نظم الدرر: 45 / 21.

(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 300 / 29.

(5) البقاعي، نظم الدرر: 45 / 21.

(6) الطيبي، فتوح الغيب: 115 / 16.

(7) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 299 / 29.

نكتة حذف متعلق الصبر:

يحتمل قوله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ﴾ أن يكون قد حذف فيه المتعلق، والتقدير: فاصبر على أذى المشركين، أو على أداء الفرائض، أو على عطيتك من غير استكثار، أو هو عام يتناول كل مصبور عليه ومصبور عنه، والصبر على أذى الكفار مما يتناوله الكلام أيضاً. ويحتمل أن يكون الفعل قد نُزِلَ منزلة اللازم، والمعنى: فاستعمل الصبر⁽¹⁾ دون التفات إلى المصبور عليه ما هو.

الصَّابِرُ عُذَّةٌ
في كُلِّ الْمَشَاقِّ
وَالْأَلَامِ

❁ الفروق المعجمية:

التَّخْوِيفُ وَالْإِنْذَارُ:

الإنذار: تخويف مع إعلام موضع المخافة، من قولك: نذرتُ بالشيء إذا علمته فاستعددت له، فإذا خُوفَ الإنسانُ غيره، وأعلمه حال ما يُخَوِّفُهُ به؛ فقد أُنْذِرُهُ، وإن لم يُعْلِمْهُ ذلك قيل: خَوْفُهُ فقط، والإنذار إحسان من المُنْذِرِ، وكلما كانت المخافة أشدَّ كانت النعمة بالإنذار أعظم، ولهذا كان النبي ﷺ أعظم الناس بإنذاره لهم عقاب الله تعالى.

النَّبِيُّ
مَخُوفٌ مِنْ
عَذَابٍ شَدِيدٍ

وقد أوتر التعبير بالإنذار هنا؛ لأنه ﷺ مكلف بتخويفهم من أمر عظيم، وهو عقاب الله تعالى إن لم يؤمنوا به ويوحّدوه، وهو مبین لهم موضع المخافة أكمل البيان وأعظمه.

الرَّجْزُ وَالرَّجْسُ:

الرجز: هو العذاب أو عبادة الأوثان. والرجس: هو المستقذر⁽²⁾. وقد عبّر بالرجز هنا؛ لأنَّ المراد مجانبة الأوثان أو أسباب العذاب⁽³⁾، لا المستقذرات؛ لأنَّ تلك يدلُّ عليها قوله تعالى: ﴿وَيَبَّاكَ فَطَهَّرْ﴾.

يَشْتَرِكُ الرَّجْزُ
وَالرَّجْسُ
فِي كَوْنِهِمَا
مُسْتَقْذَرَانِ

(1) الزمخشري، الكشاف: 4/ 646.

(2) زيدان، الفروق اللغوية، ص: 548 - 549.

(3) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 30/ 699 - 700.

عنوان الكتاب:

موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الرابع والستون،
سورة المَعَارِج من الآية 15 إلى سورة المُدَّثِّر الآية 56
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

*

التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
© حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م

*

الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366

م. ق. ت

التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الرابع والستون، سورة المَعَارِج من الآية 15 إلى سورة المُدَّثِّر الآية 56
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.

مج. 64 ، 806 صفحة؛ 24x17 سم.

ردمك : 978-9948-647-38-6

يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.

مج. 64 : المجلد الرابع والستون، سورة المَعَارِج من الآية 15 إلى سورة المُدَّثِّر الآية 56.

1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-647-38-6

*

إذن طباعة رقم: MC-03-01-6817852 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة

*

الفئة العمرية : E

"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"

*

الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE

الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"